تشارلز سيميك

العالم لا ينتهي

و قصائد نثر أخرى

ترجمة: حسين الخطيب

مدونة ابو عبدو

تشارلز سيميك

العالم لاينتهي

قصائد نثرية

ترجمة:

أحمد م. أحمد

تشارلز سيميك:
صوتٌ ينطق بالمنفى، والأميركية معاً

لقي تشارلز سيميك، اليوغوسلافي الأصل الذي هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية في الخامسة عشرة من عمره، الترحيب كواحد من أرفع شعراء بلده. وقد نالت أعماله (**بلوز لا ينتهي، أن تُخْرج القطة السوداء، وفندق الأرق**) جوائز عديدة، من بينها جائزة بوليتزر لعام 1990 عن الكتاب الذي بين أيدينا (**العالم لا ينتهي**) بالإضافة إلى جائزة مؤسسة ماك آرثر المرموقة، واختياره أمير شعراء أميركا لعام 2007. ورغم أنه يكتب بالإنكليزية، إلا إنه يعتمد على تجربته الذاتية في بلغراد التي مزقتها الحرب في صياغة قصائد تدور حول الخراب المادي والروحي للحياة في هذا العصر.

لقد وسّع نَيله جائزة بوليتزر عن (**العالم لا ينتهي**) من جماهيريته، رغم أن الشاعر لم يفتقر أبداً إلى المعجبين في أوساط الكتّاب المبدعين. يعبّر لايام رِكتور في "هدسون ريڤيو" عن أعمال سيميك بأنها "تصل الصّفاء، والأصالة التي لم يدركها أحد من معاصريه." كما يلخّصُ ڤيكتور كونتوسكي ملامح إنجاز سيميك بأنها "إحدى أهم التجارب الشعرية المتأصّلة في عصرنا والتي تترك انطباعاً لا يمّحي، شِعرية خارقة تهزّكَ بما تحويه من أفكار، وتخييل، ولغة." كتب بيتر ستيت: "حقيقة أن سيميك أمضى عقده الأول كناجٍ من الحرب العالمية الثانية لكونه من سكان أوروبا الشرقيةً جعلتْ من الكاتب الذي ترك وطنه الأم كاتباً استثنائي العمق.... إنه أحد أكثر الشعراء حكمةً في جيله، وواحد من صفوتهم." و يشير روبرت شو إلى أن سيميك "قد نجح بشكل لافت في استدراج القارئ إلى لحظته الخاصة المبدِعة."

أمضى سيميك سنواته الأولى في بلغراد. لتتزامن طفولته المبكرة مع الحرب العالمية الثانية؛ وقد أجاثْ [illegible] البيت مراراً هرباً من القصف العشوائي- أو [illegible] لدى لقاءاته على موقع "كورتلاند ريڤيو": [illegible] كانا وكيليَ سفري." ليستمرّ جوّ العنف و [illegible]. إذ غادر والد سيميك البلاد ليعمل في إ[illegible] والدته مراراً أن تلحق به، لكي تعيدها السلطات [illegible] الأخرى. في تلك الأثناء، كان سيميك الفتى يشبّ في بلغراد، حيث كان يُعتبر مشاغباً مسالماً وطالباً دون الوسط.

عندما بلغ سيميك الخامسة عشرة، رتّبتْ والدته أمر سفر الأسرة إلى باريس. وبعد سنة قضاها في دراسة الإنكليزية في مدرسة مسائية إلى جانب حضور دروس في مدرسة فرنسية حكومية نهاراً، أبحر سيميك إلى أميركا ليُعادَ لمّ شمل العائلة. دخل الولايات المتحدة من ميناء مدينة نيويورك ثم انتقل مع عائلته إلى شيكاغو، حيث التحق بالمدرسة الثانوية. في إحدى مدارس الضواحي التي تميّزتْ بمدرّسين أكفّاء وطلاب مهتمين، هناك بدأ سيميك يهتم بدروسه، وخصوصاً الأدب.

أولى سيميك اهتماماً خاصاً بالشعر، مع اعترافه بأن السبب الرئيسي الذي دفعه لاستكشاف هذا الجانب من الفن كان من أجل لقاء الفتيات. ففي حديثه إلى موقع *Artful Dodge*، ميّز سيميك بين اهتمامه الحديث العهد بالشعر وبين شغف مبكر آخر، هو الجاز: "إنه الموسيقى التي أحببتها منذ المرّة الأولى التي سمعتُها فيها.... كان هناك نقّالة عسكرية أميركية في إيطاليا وكان بوسع أذنيك التقاطها. وأتذكر أمي ومذياعاً ألمانياً قديماً رائعاً؛ كان ضخماً للغاية وكنتُ أقلّب الموجات، وسمعتُ شيئاً ما وأردتُ أن أتبيّن ما

كان بحق الجحيم. كانت موسيقا مؤداة من قبل فرقة كبيرة، نوعاً من أداء البلوز.... أتذكر كيف أحببتُها على الفور. ولم يكن لديّ أدنى فكرة ماذا كانت تلك الموسيقا."

نُشِرتْ أولى قصائد سيميك عام 1959، عندما كان في الواحدة والعشرين. ويعترف أيضاً بأنه شرع في كتابة رواية في سن العشرين، وهو قرارٌ عاش ليندم عليه: "لابد أن تكون على درجة من الحماقة أن تبدأ كتابة رواية وأنت في العشرين.... أتذكّر بأنني كتبتُ الحبكة الروائية، وعند الصفحة 55 توقفت، فقد نفدتْ مني الأفكار."

بين ذلك العام، وبين 1961، حينما التحق بالخدمة العسكرية، كتب العديد من القصائد، أتلف معظمها. نال سيميك أخيراً درجة البكالوريوس في عام 1966. وكانت أولى مجموعاته الشعرية المكتملة، **ماذا يقول العشب**، قد نُشرتْ في العام التالي. وخلال فترة وجيزة للغاية، بدأت أعمال سيميك، من شعر مكتوب أصلاً بالإنكليزية ومن ترجمات لشعراء يوغسلافيين مهمين، تحظى بالاهتمام النقدي. ففي دورية "أميريكان مومنت": في دراسة عن *الشعر الأميركي في منتصف القرن*، لحظ جيوفري ثورلي أن جوهر شعر سيميك المبكر- مادته الأولية- "هي أوروبية وريفية أكثر مما هي أميركية وحضرية.... إن العالم الذي يخلقه شعره- أو بالأحرى يقوّضه عبر التفريغ الدلالي الخلاق- هو أوروبا الوسطى- الغابات، برك الماء، وأثاث المزارعين." أكد ماثيو فلام أيضاً أن سيميك إنما كان يكتب عن ذهوله، عن كونه جزءاً من فصل في كوميديا التاريخ، الذي فيه ترعرع نصف مُبْعَد في بلغراد ليصبح، بلكنته السلافية، شاعراً أميركياً."

إنّ أعمال سيميك عصيةٌ عن التصنيف. فبعض القصائد تعكس نزعة سوريالية، وميتافيزيقية فيما يعرض بعضها الآخر لوحات واقعية كالحة من العنف واليأس. يصر ڤيرنون يونغ أن الذاكرةَ- الجذرَ الرئيسَ الذاهبَ عميقاً في الفلكلور الأوروبي- هي المنبع الأساسي لكل شعر سيميك. سيميك، خريج جامعة نيويورك، متزوج وأبٌ في أميركا البراغماتية، يرتدُّ، حين ينظم قصائده، إلى لاوعيه وإلى أحواض الذاكرة الأولى..... في تضاعيف العوالم الشعرية المصغّرة التي قد تكون ضارية، تهكمية، شبه واقعية أو مخزية إلى أقصى الحدود، يعرض بإحكام مونتاجاً تاريخياً." يستطرد يونغ: "إن يوغوسلافه هي شبه جزيرة الذاكرة.... إنه ينطق بالحكاية الرمزية؛ ونهجُه أن يترجم الواقعةَ التاريخية إلى رمزٍ مفتاحيّ سوريالي.... إن سيميك يشعر بماضي أوروبا ينبض في عروقه."

تتحدى بعض أعمال سيميك الشهيرة الخطّ الفاصل بين المألوف واللامألوف. إنه يبثّ الجوهر وربما الحياة لكي يؤنسن الأشياء، واعياً الغرابة في الأجسام المنـزلية الجامدة المغرقة في عاديتها مثل السكين أو الملعقة. كتب *Shaw*: إن ذروة التأثير في قصائده الأولى كمنتْ في أن "الأشياء الجامدة تسلك حيواتها وتقدّم، في ذات الوقت، محاكاة قاتمة للوجود الإنساني." ويخلص ڤيكتور كونتوسكي إلى أن "مساعي سيميك في تأويل العلاقة بين الحي والجامد قد أوصلتْ إلى ما يشبه أكثر فتوح الشّعر أصالة في عصرنا، شعر صارم باعتداده بمفاهيمه ومجازه ولغته." وكما كتب أنطوني أن سيميك "يأخذنا إلى دريئته الغامضة، العالِمِ الآخر المُتَضَمَّن في عالمه."

تجارب الحرب في مرحلة الطفولة، الفقر، والجوع تكمن خلف عدد من قصائد سيميك. يؤكد بيتر ستيت أن الهم الشاغل للشاعر "هو أثر الأنظمة السياسية القمعية على حياة الإنسان العادية.... عالم سيميك مخيف، غامض، عدواني، خطِر." بينما أعلن ثورلي أن سيميك "يخلق عالَماً من الصمت، بانتظار أن يحدثَ الذي لما يُقَلْ بعد، عالقاً في السلوان الذي سيحلّ بعد ذلك.... إن حجم الخطر لدى سيميك يتحول بذاته إلى ميتافيزيقيات. لكن سيميك يلطّف رؤيا الرعب هذه عن طريق دعابة المشانق والسخرية من وعي الذات. يجزم ستيت: "حتى أكثر القصائد سوداوية.... تُبدي عن حيوية في الأسلوب والخيال الذي يبدو وكأنه سيعيد، أمام أعيننا، خلق احتمال الضوء فوق الأرض. ولعلّ أفضل طريقة للتعبير عن ذلك ستكون بالقول إنّ سيميك يصدّ ظلامية الأنظمة السياسية عن طريق تكريس وشرعنة نور الفن."

وجد النّقّاد أن أسلوب سيميك منفتح وقابل للولوج، وأنه إنجاز ثرٌّ بالنسبة لشاعر لغتُه الإنكليزية هي الثانية. بالنسبة إلى *Shaw*، فإنّ "وعي المنفى لا يزال يلوّن لغة سيميك بالإضافة إلى رؤيته للوجود. وبترويضه للغة الثانية، فإن سيميك بشكل خاص واعٍ لطاقة الكلمات، وللحدود التي تتلمّسها هذه الكلمات لكيْ تصل إلى مبتغاها. إن أسلوبه التعبيريّ بالغ الصفاء: فبكل عناصر الحياة اليومية التي يكتب عنها، ينيط اللثام عن عمقٍ غير متوقَّع في تضاعيف ما يبدو أنها لغة مألوفة." يعلّق مايكل ملبورن في دورية مراجعة الكتب: "إن تشارلز سيميك هو شاعر الرؤيا الأصيلة.... سيميك يداهن القارئ بالألفة التي تصلّ حَدَّ الكليشيه. يلوح وكأنه يتحدّى نفسه في أن يكتب بأقصى

مايمكنه من وضوح، في نفس الوقت الذي لا يزال فيه ينتج أعمالاً فيها العذوبة والأصالة. إن أعماله تومئ إلينا من على قارعة الطريق لتُدْخِلَنا إلى عالم يلوح للوهلة الأولى بأنه لا يتميّز عن عالمنا نحن.... لكن أسلوباً ثرّاً يقبع خلف وضوح سيميك.... غير المتكلِّف، بلغةٍ غير اقتحامية تنطوي على أكثر الصّور إدهاشاً." يضيف ملبورن بأن الشاعر "يستثمر مقوّمات اللغة والتجربة التي قد يتقبّلها القرّاء بمنتهى الثقة، ثم يذيبها في موسيقا أخاذة."

منذ عام 1973 درّس سيميك الإنكليزية، الكتابة الإبداعية، والنقد في جامعة نيوهامبشر. يصف بيئة نيو إنغلاند بأنها خصبة لإنتاج المفكّرين الأصيلين لأنها، كما يقول، "هناك في تلك الولايات مثل ماين ونيو هامبشر المليئة بالأمكنة النائية عن الطرق، التي تمتد شتاءاتها لتسعة أشهر. تكتشف أن لهؤلاء الصبية الفقراء في تلك الأماكن حيوات جوّانية، وانطوائية، لأنه ليس ثمة ما تفعله إلا أن تمعن النظر في الذات. الاستبطان أمر عظيم، رغم أن خدمة كابل التلفزيون قد وجدتْ طريقها إلى نيو إنغلاند."

علّقتْ دايانا إنغلمان بشكل مطوّل حول شعر سيميك بأنه صوت مزدوج ينطق بالأميركية وبالمنفى على حدٍّ سواء. تقول: "صحيح أن تجربة تشارلز سيميك، الشاعر الأميركي، تمدُّ شعريته بهذا المفعول المتماسك على نحو فذّ، إلا أنه أيضاً يصحّ القول إن الصوتين: صوت الأجنبي وصوت ذاكرة اللسان الأمّ لايزال يتردد صداهما في قصائد عديدة." تضيف إنغلمان: "إن قصائد سيميك تقوم بتوصيل ثنائية المنفى في خصوصيتها: فهي في ذات الوقت بيان أصيل عن الحساسية الأميركية المعاصرة وأوعيةٌ من الترجمة الداخلية، تقترح مجازاً نحو ما هو صامت وأجنبيّ."

في معرض حديثه عن تجربته الإبداعية، علّق سيميك: "عندما تبدأ تدوين الكلمات على الصفحة، ستتولاك حالة من التداعي، لتقول في سرّك فجأةً: يا إلهي! كيف دخل هذا في رأسك؟ لماذا هو مدوَّن على الصفحة؟ وما أفعله هو أن أمضي إلى حيث يأخذني."

أ.م. أحمد

كلايتون، كارولاينا الشمالية

2009/10/21

إلى جيم تيت

"فلنرقص الرُّومبا مثل ڤالس."

فاتس والَر

القسم الأول

كانت أمي ضفيرةً من دخانٍ أسود.

حملتني مُقَمَّطاً فوق المدن المحترقة.

كانت السماءُ مكاناً أوسعَ وأشدّ عصفاً من أن يلعبَ فيها ولد.

وقد التقينا بكثيرٍ من أولئك الذين يشبهوننا.

جميعهم كانوا يحاولون ارتداء معاطفهم بأيدٍ صُنِعتْ من دخان.

كانت السماوات السحيقة مفعمةً بآذانٍ منكمشةٍ صَمَّاءَ بدلاً من النجوم.

اربدَّتْ سحنةُ "سكاليغر" كالأموات لدى رؤية نبتةِ الجرجير، أما "تايكو براهي"، العرَّاف الذائع الصِّيتِ، فقد أغميَ عليه حين وقعت عيناه على ثعلبٍ حبيس. في حين استشعرتْ "ماريا دي ميديتشي" دواراً مباغتاً لرؤية وردة، رغم أنها استوطنت لوحة. في غضون ذلك، كان أسلافي يأكلون الملفوف. ومافتئوا يحرِّكون القِدْرَ منقِّبين عن قدمِ خنـزيرٍ لم تكن هناك قطّ. السماء زرقاء. والعندليبُ يشدو سوناتا من عصرِ النَّهضة، وعلى الفور يأوي أحدهم إلى الفراشِ لوجعٍ ألمَّ بأسنانه.

خطفني الغجرُ. لكن سرعان ماخطفني والداي منهم. ثم عاد الغجر فخطفوني من جديد.

وجرى الأمر هكذا لبعض الوقت. في لحظة كنتُ في القافلة أرضع الحَلَمةَ الداكنة لأميَّ الجديدةِ، وفي اللحظة التالية جلستُ إلى طاولةٍ طويلةٍ في غرفةِ الطَّعامِ أتناولُ إفطاري بملعقةٍ فِضِّيَّة.

كان أوَّلَ أيَّامِ الربيع. واحدٌ من آبائي كان يغنّي في مغطسِ الحمَّام، الآخرُ كان يُلوّنُ دُورِيّاً حيّاً بألوانِ عصفورٍ استوائيّ.

إنه مثْجَرٌ متخصِّصٌ بالخزفِ العتيق.

تجولُهُ وإصبعُها على شفتيها. هس س س!

علينا أن نكونَ هادئين حين ندنو من أكواب الشاي.

حتى الأنفاس محظورة قرب أطباقِ السُّكَّر.

ثمة حبيبات غُبارٍ دقيقةٌ توضَّعتْ على صحنٍ بِرقَّةِ البسكويت.

"آه" تَنِدُ مِن فمِها البُومِيّ. كانت تنتعلُ خُفَّاً ناعماً، ذا بِطانةٍ سميكةٍ حول قدميها ـ تتراكض حوله الفئران.

بمكواةٍ بُخارٍ ساخنة تَضغطُني برفق، ولعلَّ يدَها تنسابُ في داخلي كما لو كنتُ جورباً يحتاجُ للرَّتْق. الخيطُ الذي تستعمله يشبه وَشَلَ دمي، لكنّ حِدَّةَ الإبرة حدّتها هي.

"ستؤذين عينيكِ ياهنرييتا، تحت ضوءٍ شحيح كهذا،" تحذِّرها أمُّها. وهي على صواب! فلم ينوجدْ ضوءٌ بمثلِ هذا الشّحّ منذ بدأَ العالم. طالما أحسسنا أنَّ ظَهِيراتِ شتاءاتنا ستدومُ مائة عام.

كنّا فقراء للغاية لدرجة أني حللتُ محلَّ الطَّعْمِ في مصيَدَةِ الفئران. وحيداً في القبو، كان يمكنني أن أسمعهم في الأعلى يذرعون المكانَ جيئةً وذهاباً، يأرقون، ويتقلّبون في أسرَّتهم. "إنّها أيامٌ ظلماء ومشؤومة،" أسرَّ إليَّ الفأرُ بينما كان يقضمُ أُذُنِي.

مرّتْ سنون. ارتدتْ أمي ياقةً من فروِ القطِّ ظلّتْ تُمَسِّدُها حتى انتثرَ ومضُها وأضاءَ القبو.

أنا آخرُ جنديٍّ نابوليونيّ. وها مائتا سنةٍ قد انصرمتْ وأنا لا أزالُ أتقهقرُ من موسكو. الطريقُ محفوفةٌ بأشجارِ البَتُولا البيضاء والوحلُ يكاد يصلُ رُكبتيّ. وتلك المرأةُ العوراء تريد أن تبيعني دجاجةً، رغم أنّه ليس لديّ ما أكسو به نفسي.

كان الألمانُ يغذّون السَّيْرَ في اتّجاه. وأنا ماضٍ في الاتّجاه المعاكس بينما اتّخذَ الرّوسُ اتّجاهاً آخرَ وهم يلوّحون بأيديهم تلويحة الوداع. لايزال لديَّ سيفي الرسميّ. أستعمله لقصِّ شَعري الذي يبلغ طوله أربع أقدام.

"الكل يعلمُ الحكايةَ عني وعن الدكتور فرويد،" قال جدّي.

"كلانا وقع في حُبِّ زوجِ أحذيةٍ سوداء في واجهة متجر الأحذية إيّاه. لكنّ المتجرَ، لسوء الحظ، كان دائماً مغلقاً. وسيكون هناك لافتة: ***وفاةٌ في العائلة،*** أو ***سنعود بعد الغداء،*** لكن أحداً لن يأتي ليفتح مهما انتظرتُ.

"ذات مرَّةٍ أمسكتُ الدكتور فرويد هناك متلبِّساً في حالةِ إعجابٍ مفضوحٍ بالحذاء. حملق كلانا في الآخر قبل أن ينصرف كلٌّ في طريقه، دون أن نلتقي بعدها أبداً.

أمسك *وحشَ القيامةِ* من ذيله، الولد الأحمق! يااللُّحى التي تحترق، ها قد تكشفَّتْ دينونتُنا بكل جلاء. كانت الأبنية تتداعى، وشاشات الكمبيوتر تُظْلمُ كخزائنِ جدَّاتنا. كان ذُعرنا يفوق طاقتَنا على الابتهال.

هاقد مضى قرنٌ آخر إلى الجحيم ـ ولكن لأجل ماذا؟ فقط لأن بعض الناس لايعرفون كيف يُنْشئون أولادَهم!

كانت حقبة سادةِ الخِفَّة.

في بعض المساءات شاهدنا رجالاً ونسوةً يهوّمون فَرادى فوق قمم الأشجار الداكنة. أتُراهم كانوا في سُباتٍ أم غارقين في تفكير عميق؟ لم تبدر منهم أدنى محاولةٍ لتغيير وجهتهم. برفقٍ كانت تدفعهم الريح.

كنّا وجِلين من الكلامِ، من التنفُّسِ. حتى إنَّ طيور الليلِ كانت ساكنة. ولاحقاً، سنتحدّث عن الكتاب الصغير الذي حضَنتْه يدا الصبيّة، والطريقةِ التي أضاع بها العجوزُ قبّعتَه بين أشجار السّرْوِ.

في الصّباح لم يكن ثمة غيوم في السماء. رأينا بضعة غربانٍ تُسوّي ريشها بمناقيرها على حافّة الطريق، بينما أشْرَعَتِ القمصانُ أكمامَها الفارغةَ على حبلِ غسيلِ المرأةِ العمياء.

قصص الأشباحِ مدوَّنةٌ كمعادلاتِ جَبْرٍ.

الصغيرةُ إيميلي ترتعدُ خوفاً بجانبِ السَّبُّورة.

إشارة الـ X بالنسبةِ إليها مقبرةٌ في الليل. والمعلِّمُ يريدها أن تندسَّ بينها بقطعة الطباشير. حبسَ الأولادُ أنفاسَهم. قطعةُ الطباشير أصدرتْ صريراً لمرةٍ واحدة بين إشارات الزائد والناقص، ثم سَكَنَتْ من جديد.

في السنةِ الرَّابعة للحرب، ظهرَ "هرمس". لم يكن ذا شأنٍ لكي تُعِيْرَه نظرةً. كان معطفُ ساعي البريدِ الذي يرتديه مِزَقاً، والفئران تفرّ من جيوبِه وإليها. وكانت القبعة ذات الحافّة العريضة التي يعتمرها مثقوبة بالرّصاص. ولايزال مصطحباً تلك العصا الشهيرة التي يُغْلِقُ بها أعينَ الموتى، رغم أن علائمَ التَّأَكُّلِ بدت عليها. هل تراه سمح للمحتضرين أن يعضوّا عليها؟ مهما كان الأمر، لم يكن بحوزته أيّةُ رسائل لنا. ***"يا إله اللصوص!"*** صرخْنا بملئنا من وراء ظهرِه حين لم يعدْ بوسعه أن يسمعنا.

قد سقطت المدينة. دنونا من شبّاكِ بيتٍ اقتلعهُ مجنون. ألقتِ الشمسُ الغاربةُ أشعتَّها على بضعٍ من آلاتِ العبثِ المهجورة. "أتذَكَّرُ،" قال أحدهم، "كيف كان للمرء في الأزمنةِ الغابرة أن يُحِيلَ الذئبَ إلى آدميّ ومن ثم يرشده إلى مكنون قلبه."

أدَّيتُ أدواراً
في أصغر المسارح

شكائمُ من حصىً جهنَّمِيٍّ
على عتبة النافذةِ
تُطَوّقُ كِسرةً مَنْسيَّةً
من خبزٍ أبيضَ.

الحجَرُ هو مرآةٌ تعملُ بِرَداءَةٍ.
لاشيء فيها إلا العماء. عماؤكَ أو عماؤه، أيهما نقول؟ في الصمتِ يلوحُ قلبُك كجدجدٍ أسود.

دفعوا بكرسيّ الشقراء الشاحبة التي تحسبُ نفسَها في عداد الأموات باتجاه السُّورِ الشائك لمشفى المجانين. ربما كان اسمها إيمي أو آن، غير أنها لاتستجيب لأيٍّ منهما. أبقتْ عينيها مطبقتين بإحكام. كانت قد دُفِعتْ بكرسيِّها ذي العجلات منْ قِبَلِ ممرّضة في زيِّها الأبيض.

بعض ذلك حكاه لي فتىً مصابٌ بالرّعاشِ، أصرَّ أنها لاتزال تمطر منذ سنوات، حتى داخلَ البيوت. "حقّاً يتساقطُ المطرُ بغزارة،" قال.

أيا عاشق الخيبات اللانهائية بمجموعتك العتيقة من بطاقات البريد، ها أنا ذا آتٍ! أنا آتٍ! إذ تريد أن تُرِيَني محطةَ قطارٍ وساعتَها المتوقفةَ عند الخامسة والخمس دقائق. ليس بوسعنا أن نرى ماوراء نافذةِ ناظرِ المحطّة بسبب السّخام. حتى أننا لانعرف على وجه اليقين إن كان ثمة قطار ينتظر عند الرصيف، وأقلّ من ذلك، إن كان ثمة امرأة في الأسود تدلفُ على عجلٍ عبر الباب الأماميّ. ما من بشر في المشهد، فلابدّ أنها محطة هادئة إذاً. إنها محضُ بلدةٍ صغيرةٍ عاث بها الزمن إلا من أرملةٍ ذاتِ وِشاح، هي الآن في طريقها للرحيل برفقة سِرِّها.

الذباباتُ في الدائرةِ القطبيّةِ تجيء جميعاً من لياليَّ المؤرَّقة. هذه طريقتها في الانتقال: تَقُلُّها الريحُ من جزّارٍ إلى جزّار، وتكون أذيالُ الأبقارِ مُنْشَغِلةً وقتَ الحلب.

وفي ليالي الغابات الشّمالية تُنصِتُ إلى الوعلِ، إلى الغوّاص... الصيفُ هناك وجيزٌ للغاية، فلا يكاد يتّسِعُ لها الوقتُ لِعَدِّ سيقانها.

"جريئاتٌ مثل طابعٍ بريديّ يعبر المحيط،" أعادتْ اللحنَ الرَّتيبَ وتنهّدتْ، وكان الوقتُ قد أزِفَ لِصُنْعِ كُراتِ الثلجِ، تلك الكرات الصغيرة الرّماديّة والحصى في داخلها.

درسٌ في التاريخ

تبدو الصراصير
كخَرْقى هزليين
في مسرحياتٍ جادّة.

القسم الثاني

رأس الدُّمْية الخشبيّة ذات المائة عام يغسله البحر على شاطئه الرَّماديّ. يودّ المرء لو يعلم القصّة. يودّ لو يؤلفها، يؤلف كثيراً من القصص. كانت هناك منذ أمد طويل في البحر، امّحتْ العينان والأنف، ابتسامتها الشّاحبة غدتْ أكثر شحوباً. ومع مجيء الليل، سيطيبُ لأحدهم أن يتمشّى على الشّاطئ الخاوي وينحني عليها.

في غابةِ علامات الاستفهام لم تتعدَّ علامةَ النجمة[1].

يا فصلَ السّديم! ها أحدهم قد نفخ في بوقِ الصَّيْد.

قال المُعْجَمُ إنك كنت إشارةً تعني الإغفال، لم تلبث أن حوَّرتِ الموضوعَ بشكلٍ جذريّ وتحدثتْ في "نظريات علامة النجمة"، التي يُفترضُ أنَّ لها علاقة ببللوراتٍ تُبدي عن هيئة نيّرةٍ على شاكلة النّجم.

ما كنتَ تصدّق كلمةً من ذلك كلّه. لعلامات الاستفهام تذكاراتُ قالنتاين نُقِشتْ على جذوعها لكي لاترفع ناظريك فتقعان على الحبال.

حبالٌ دهنيّةٌ بأناشيطَ طفليّة.

[1]- المقصود هذه العلامة: *

كلّ شيء يمكن التنبّؤ به. بل كلّ شيء كان قد تمَّ التنبّؤ به من قبل. وماخطَّهُ القدر لايمكن تجنّبه. تلك البطاطا المسلوقة. شوكة الطّعام. قطعة الخبز الداكنة هذه. وهذه الفكرة أيضاً...

جدتي تّدركُ ذلك بينما تكنس الطَّوار. تقول إنَّ ما مِن إله، فقط ثمة عينٌ هنا وهناك ترى بجلاء. الجيران منهمكون في مشاهدة التلفاز لكي يحرقونها كما يحرقون ساحرة.

أطلقَ على كلبٍ اسمَ رامبو وعلى الآخر اسم هولدرلين. وكلاهما مهجّن. "الحياةُ التي لاتبتليْ ليست جديرةً بأن تُعاشَ" هو قولُه الأثير. تبدو زوجته مثل ***"حريّة"*** دِلاكروا نصف العارية. تحتذي نعليّ رعاةِ بقر، وتقطف الفطرَ المريبَ في الغابة. الليلةَ سيشعلان شموعاً طويلةً ويحتسيان النبيذ. بعدها سيفتحان الباب ويُدْخِلان الكلبين كي يقتاتا فتات الطعام تحت المائدة. "*Entrez mes Enfants!* ادخلا يا صغيريَّ!" سيرفع صوته أمام الليل، ومن خصره يقدِّم انحناءةَ إجلال.

كَلْبٌ ذو روح، هل وقعتم عليه؟ أنتم القردة برؤوس سقراط، أطفال مذبح الكهنة الزائفين، أساتذة الشرّ المتقاعدون! أتخيّلُ مدناً يمكنني أن أضيعَ فيها. ألتقي كلاباً أخرى ذات روح بينما لا أكون مُشْرعاً في إشعال المفرقعات في رؤوسٍ يكاد يغلبها الوسَن.

مفرقعات الدم -و-الأحشاء. لكم أن تبصروها في الظلام، أنتم ياهارشيّ المؤخرات! لكُم أن تبصروها في الظلام.

الزّمنُ-السّحلية تحت ضوء الشمس. لاتنِدُ عنها حركة، لكن عينيها مفتوحتان على اتساعهما. *فهما تعشقان التحديق وتشنيف الآذان إلى خُطبِنا*.

لعلَّ ذلك يعود إلى أنّ الرِّجال الأوائل كانوا سحالي. وإذا لم تصدّقني، قمْ واقبضْ واحدةً من ذيلها وسترى كيف سينقطع على الفور.

كانت مارغريت تنسخ طريقةَ إعدادِ طبق "قدّيسين مشويين بالبصل" من كتاب طهيٍ قديم. أصوات العالم العشرة آلاف كانت قد أُخمدتْ حتى أننا سمعنا صرير قلمها. كان القدّيس هاجعاً في غرفة النوم وعلى عينيه ثمة قماشة مبلّلة. وعبر النافذة، قعد مؤلِّفُ الكتاب على شجرة تفّاحٍ مُزهرة يقتل القملَ بين أظافره.

قصيدةٌ في الجلوس على سطحٍ نيويوركيّ ذات مساءٍ خريفيّ بارد، تحتسي النبيذَ الأحمر، مُحاطاً بأبنيةٍ شاهقة، وبأولادٍ صغارٍ يتراكضون باتجاه الحافّةِ الخطِرة، وتلك الفاتنة المنـزوية التي أحبّها الجميعُ في السّرّ. ستموتُ في ريعان الصِّبا لكننا لم نعلم ذلك بعد. ثمة ثقب في جوربها الأسود، يُبرز إصبع قدمها الكبيرة، إصبعٌ بطلاء أحمرَ... وناطحات السّحاب... في الضوء الذّاوي... مثل كلدانيين جدد، وكاهنات معبد دَلْفيْ، وكاساندرات... بسبب نوافذها العمياء الكثيرة.

عزيزي فريدريك، لايزال العالم مزيّفاً، قاسياً وعذباً..

منذ انسدال الليل، وأنا أرقب عامل المصبغة الصّينيّ، الذي لايقرأ لغتنا أو يكتبها، وهو يقلّب صفحات كتابٍ خَلَّفَهُ زبونٌ عَجول. لكم بعثَ ذلك فيّ الغبطة. أردّتُه أن يكون كتابَ أحلام، أو مجلّدَ شعرٍ عاطفيّ سخيف، لكنني لم أرَه عن كثب.

إنها الآن تقارب منتصف الليل، ولايزال مصباحه مُضاءً. لديه ابنةٌ تُحْضِرُ له العشاء، ترتدي تنانير قصيرةً وتمشي بِخُطىً واسعة. تأخرتْ، تأخّرتْ للغاية، حتى إنه توقف عن الكيّ ومضى يرقب الشارع.

لو لم نكن كلانا، لما كان هناك سوى العناكب تُعلِّق شباكها بين مصابيح الشارع والأشجار الدّاكنة.

"ثمة ترف استوائيّ يكتنف فكرة الرّوح،" يكتب نيتشه. لطالما شعرتُ بذلك، أيضاً، يافريدريك! أدغال الأمازون بطيورها الملوّنة الزاهية تزعق ثم تزعق، لكن أعماق تلك الأدغال تبقى خامدة وظلماء. البنت الحلوة الضائعة تُلْقِمُ قرداً صغيراً صدرها. وضمن الحضور ترتدي السحالي حِلّةً كنسيّة وتتحدّث إليها بالفرنسية: "*La Reine des Reines*" "*ملكة الملكات*" بما يشبه الترتيل. ليس لأدنى درجات الفتنة في هذا المشهد أن تُمحى بتلك السهولة التي يُمحى بها فعلٌ منافٍ للأدب.

أسَرَّتْ له الغيومُ بأسمائها ظهيرةَ صيفٍ هادئة. لكنه عندما سألَ غيومَ المساء، "هل رأيتنّ ماري وبريسيلا؟،" لم تحره جواباً. كانت قطيعاً صارماً وأخرسَ. أولته ظهورَها الرّماديّة متّجهةً نحو "ستارغِس[2]"، حيث للتوّ أطلقَ مُزارعٌ النارَ على حصانٍ مريض.

[2]- اسمٌ لأكثر من مدينة في الولايات المتحدة.

هل أَكَلَةُ لحوم البشرِ الرّوسُ أسوأ من أقرانهم الإنكليز؟

بالتأكيد. فالإنكليز يأكلون القَدَمَ فقط، بينما يأكلُ الرّوسُ الرّوحَ. "الروح سرابٌ،" قلتُ لآنا أِلكساندروڤنا، لكنها مضتْ تأكل روحي رغم ذلك.

"أمثل طبق "كونفيت[3]" البطّ رائع المذاق، أم مثل بطلينوس العنق القصير المذهل الآتي لتوّهِ من موطنه المالح؟" تساءلتُ. بينما اكتفتْ بِفَرْكِ بطنها وابتسمتْ لي عبر الطاولة.

[3]- طبَقٌ فرنسيّ معروف، مؤلَّف من الحساء ولحمِ البَطّ.

ممثِّل يتظاهر بالأكل على خشبة المسرح الخاوي. المرأةُ التي تندفعُ من الكواليس نسيت كلماتِ دَورِها. *يا أيها القصر الذي يستحمُّ بضوء القمر!* المرأةُ ذات الشَّعْرِ الوحشيّ بفمها المفتوح، ثمّ الأمير المزيّف يحاول الوصول إلى مسدّسِه الدُّمْية.

الرجلُ الميتُ يترجّل عن منصّةِ الإعدام. متأبِّطاً رأسه الدامي تحت ذراعه.

أشجار التّفّاح ترفلُ في الزَّهَرِ. بينما يشقُّ طريقه باتجاه حانة القرية على مرأى من الجميع. هناك، يتخذُ كرسيّاً قرب واحدةٍ من الطّاولات ويطلب زجاجتيّ بيرة، واحدة له والأخرى لرأسه. تمسحُ والدتي يديها بوَزرتها وتقوم بخدمته.

إنه السّكون المطبق يعمُّ العالم. إذ بوسعِ المرء أن يسمع النّهرَ القديم، الذي لِفَرْطِ تلاطُمِه ينسى في بعض الأحيان فيتدفّق إلى الوراء.

ملاكي الحارس خائف من الظّلام. يتظاهر بعكس ذلك، ويدفع بي قبلَه، يقول إنه سيكون معي في لمحِ البصر. لكن سرعانِ ما أكتشف كذبه. "لابدَّ أنّ هذا هو الرّكنُ الأكثر ظلمةً في السّماء،" تهمس إحداهنّ من وراء ظهري. إذْ تبيَّن لها أن ملاكها الحارس مفقودٌ هو الآخر. "هذه إساءة،" أقول لها. "الرّعديدان الصغيران القذران يتخليان عنّا طوال هذه المدّة،" تهمسُ. ونحن نعلم، بالطبع، أنني قد أكون بلغتُ المائة عام من العمر، وأنها مجرّد بنت صغيرة نعسانة بنظارات.

ذهب الكلب إلى مدرسة تعليم الرقص. صاحبُ الكلبِ نَشَقَ من زجاجاتٍ تحوي نسائمَ ثيينا. وذات يومٍ ترامى إلى الاثنين أنَّ سيّدَ الكون الجديدَ مرَّ أمامَ بابهما بخطىً مزلزلة. إثرَ ذلك، بادلَ الرجلُ ملابسَه بملابس كلبه. غدا كلباً بساقين اثنتين، يرتدي بذلةً، ما أفضى بهما إلى حافّة الدِّرْكِ الأسفل. فالرجل، الذي بات أعمى وأبكم، لايزال يلوحُ بذيله لدى اقتراب الغرباء.

ليستْ الأشياء سوداء إلى هذه الدّرجة كما رسمها أحدهم. كان هناك طفلٌ ظريف يلبس حِلّةً سوداء ويلهو بتفاحتين سوداوين. لعلّها كانت فتاةً تزيَّتْ بزيّ ولد، أو ولداً في زيّ فتاة. في الحالين، كانت الأسنان بيضاء صغيرة. والمشهد خارج النافذة قد اسودَّ بضربة فرشاة ثقيلة وخشنة. كان الأمرُ بِرُمَّته شديد الغائيّة، ماعدا اللحظة التي أبرز فيها الولدُ لسانَه الأحمر.

دجاجة يفوقُ حجمُها القنَّ تنقر باقي الدجاجات كأنّهنّ حبّات ذُرَةٍ بيضاء. تقول الأسطورةُ إنها والدة جدّتي. ونحن نفرّ بجلدنا، والد جدي يقود المسيرة. "سننـزعُ نظّارتيك، يا كورنيليا،" يهدر بصوته الجهوري من أعلى كتفه!

لكنها ازدردتنا على أيّة حال. كان الأمر شبيهاً بما وقع عليه يونس في بطن الحوت، ماخلا تلك العروس القرويّة الفتيّة التي التقيناها هناك. ابتسمتْ بغموضٍ يوحي بالترحيب وأَرَتْنا أسِرَّتنا حيث سنمضي فترة أسرنا الطويل.

"حبذا لو كففتِ عن هذا الهراء، يا عزيزتي،" سمعنا صوت والد جدّتنا يهمس قبل أن نغطَّ في النوم.

المُزارعُ العجوزُ بسرواله ذي الحمّالتين معلّقٌ من عارِضَةِ الحظيرة. البقراتُ تشيح بأنظارها إلى جِهاتٍ أخرى. المرأة العجوزُ جاثيةٌ تحت قدميه المتأرجحتين في ثوب الأحد الأسود تلامس الأرضيّة بجبهتها مثل مُسلِمٍ. وفي الخارج كانت السّماءُ تحفَلُ بغيومٍ مزبدةٍ فوق حقلٍ محروثٍ بلا علامات حدودٍ على مدِّ النّظر.

الجُرَذُ قام بتربية عصافير الحُبِّ. النافذة مشرَعةٌ. والعصافير عارية. كانتْ ترتعشُ تحت ضوء الشمس السّاطع الذي سقط إلى القفص.

"هذه هي طبيعتُها،" قال الجرذ، "أن تعمل للحُبِّ وأن تكونَ محبوبةً!"

أيَّدهُ يسوع المصلوبُ. الذي بدا مفعماً بالرّوحانيّة على الرّغم من عينيه المتصالبتين وشارِبَيِّ اللص المكسيكي اللذين رسمهما أحدهم عليه.

ياللسّاحرات، ياللبؤس! الاثنتان اللتان عاينتا بنظرة جانبيّة نحول عنقي عبر قضبان قفص الطيور الذي أحمله على كتفي...

كانتا أصغر وألطف من أن تكونا ساحرتين في كتاب حكايا. ارتدتا فستانين قصيرين للحفلات، وجوارب نسائية مخططة، وعلى الشفاه طلاء أحمر سميك.

الأشجار الرّؤومُ قدّمتْ أوراقها حَضْناتٍ هامسةً فوق المجازِ الذي يلوبُ بالريح حيث تلاشتْ الاثنتان في آخر الأمر.

تُرِكْتُ مع قفصي، بِثِقَله الهائل، وصحن القوتِ الأبله، والأدهى من ذلك مرآة الزينة السخيفة، وصوت الجرس الفضيّ الواهن.

علمتُ مرّةً، ثم نسيتُ. كان الأمر كأنني غفوتُ في حقلٍ لأكتشف لدى يقظتي أن أيكةً من الشجر قد نهضَتْ من حولي.

"لا تشكّ في شيء، صدّقْ كلّ شيء"، تلك كانت فكرة صديقي عن الميتافيزيقيا، مع أن زوجته هجرته لتذهب مع أخيه. أما هو فلا يزال يشتري وردةً لأجلها كلّ يوم، ملازِماً البيت الخاوي طيلة العشرين سنة التي تلَتْ متحدِّثاً إليها عن أحوال الطقس.

كنتُ سهوتُ في إغفاءةٍ وجيزةٍ تحت الظلّ، فرأيتُ فيما يرى النائم أن الأشجار ذات الحفيف كانت ذواتي العديدة التي تعبّر عن ذاتها جميعاً في ذات الوقت فلم يتسنَّ لي أن أنبسَ ببنتِ شفة. كانت حياتي لغزاً أخّاذاً على حافّةِ التَّجَلّي، أبداً على الحافّة! فكِّرْ بها لوهلة!

منـزلُ صديقي خاوٍ وكلّ نافذةٍ منه مُضاءة. والأشجار الدّاكنة تطفر في تكاثرها حول كلِّ جهات البيت.

المتفرّجُ المثاليّ هو ذاك الذي يحيا من أجل الفنّ وحسب، ويداه مطويّتان خلف ظهره. القّماشةُ البيضاء تستحقُّ أن تُسَمّى "بيضاء" في حضرته. إنها تمامُ الحادية عشرة والنصف قبل الظهر في متحف المقاطعة. بوسعِ أيٍّ كان سماع قرقرة معدة الحارس في بزّته الرسمية، بوجهه الذي يبدو كوجه شخصٍ غرق في ضوء القمر.

آلاف الرجال العجائز بسراويلهم المُنْزَلَةِ هاجعون في المراحيض العامّة. أنتَ تُبالغ! أنتَ تهذي! آلاف المريمات والمجدليّات يبكينَ عند أقدامهم.

سيُقَيَّض لإبهامي أن يشهد مغامرةً عظيمة. "أرجوك، لاتذهب،" تستجدي الأصابع. ثم تحاولُ ثَنيَه. هنا تَصِلُ ليموزين سوداء وعلى متنها امرأةٌ ذات خمار في المقعد الخلفيّ، وما من أحد خلف المقود. وإذ تتوقف السيارة، تتناول مقصّاً ذهبياً من حقيبة يدِها وتقطعُ الإبهام. نحن برفقتها في طريقنا إلى شيكاغو نستعمِلُ جَدَعَةَ إبهامي المدمّاة لطليِ شفتيها.

إنجيل

منتصف الطريق نحو لامكان-
خيِّل إليّ أني سمعتُ
أجراس كنيسةٍ وهي تقرع،
الأعمى على النّاصيةِ
يهتُف باسمي.

القسم الثالث

M.

سرتُ على قدميّ باتّجاه .M
لم يكن هناك أحد في .M
كان عليّ أن أخفِّفَ الوطأَ،
بمحاذاةِ البيتِ المقام بأوراقِ اللعِبِ-
التي يفكِّرُ نَسَقٌ منها بأكملِه
أن يتهاوى
في .M عند انقضاء اليوم.

قرنٌ من الغيوم المتجمِّعة. السّفنُ الأشباحُ تصلُ و تغادر. البحرُ أكثر عمقاً، أكثر اتساعاً. الببَّغاء في قفص الخيزران يرطنُ بلغاتٍ عديدة. وجنتا القبطان في صورته الشمسية لوّنتا بالأحمر. كان جلب فتاةً نصف عارية من السّكان المداريين تُرِكتْ مغلولةً في السقيفة حتى بعد وفاته. في الليل كانت تصدرُ أصواتاً لعلها كانتْ غِناءً. وكان ترامى للقبطان أنّ ثمة عِرْقاً من الرجال بدون أفواه لا يعتاشون إلا على رحيق الأزهار. ما حدا بزوجته وأمه أن تصلّيا لخلاص جميع الأنفس التي لم تُعمّد. غير أننا أمسكنا القبطان، مرّةً، متلبِّساً بخلع لحيته. كانت مزيّفة! وكان له تحتها لحيةٌ أخرى تضاهيها في سخف المظهر.

كان عصرَ تسكُّعات الأرملة المنشغلة. حيث لاتزال لغاتُ الحبّ الآفلة قيد الاستعمال، غير أنه كان هناك أيضاً كثير من الصّمت، كثير من الصرخات المخنوقةِ في أعالي الرِّئات.

ولدٌ أسود لبسَ قناع الكوميديا في أحد شوارع سكن الفقراء المزرية، بآجُرِّها الرّماديّ المتهالك. جاء القناعُ من أطلالِ دار سينما حيث كان معلَّقاً على خشبة المسرح مع قرينِه، التراجيديا. أيّها الولد الراكض، في خُفَّيهِ الرياضيين الأحمرين... يتوقّع المرء أن يرى واحدة من حسناواتِ السينما الصامتة الغامضات تسرنم في أعقابك.

كلاب الشَّرِطة عبر نافذة السّائسِ تَزَيَّتْ كالأولاد. ياللمآزر البيضاء المُنَشَّاةِ، والملابس الدّاخليّة ذات الحوافّ المشدودة برباط، وأحذية الجلد الصقيلة! إذا كنتَ تريد أن تبيع روحكَ للشيطان، امضِ نحو ذلك الشّارع واسأل في الطّابق الثاني عن بيت الكلاب.

ثمة التباسٌ خلقه شكّ متنامٍ في أنّ الأوَّلين ألقوا علينا التحيّة.

"فنّ صناعة الأرباب" هو ماقاله الإعلان. كنّا قد أُعْطينا دِلاءً من وحل وأُرِينا دليل النّجوم. "المينوطور لايحبُّ الصّفِير،" همس أحدهم، فعدنا إلى أعمالنا صامتين.

دروسُ المساء. السّماء تبدو مرآةَ حسناء ميتة تصلح كموديل. بصقة حامل داء الميلانخوليا تلزقها.

هاقد أتى زمنُ الشّعراء الأقلّ شأناً. وداعاً ويتمان، ديكنسون، فروست. أهلاً بكم يا مَن لن تتعدى شهرتهم نطاق عائلتهم الضيّق، وربما واحداً أو اثنين من الأصدقاء الطّيبين الذين يتحلقون بعد العشاء حول إبريق نبيذٍ أحمرَ رديء... بينما يوشك الصّغار على النوم متذمّرين من الضجيج الذي تُحْدِثُه وأنت تنقِّبُ الخزائن بحثاً عن قصائدك القديمة، خائفاً أن تكون زوجتك قد تخلصتْ منها أثناء التنظيف أواخر الربيع الفائت.

إنّها تثلجُ، قال أحدهم وهو يلقي نظرةً إلى الليل الدّامس، ثم يلتفتُ صوبك، هو ذاته، وأنتَ تهيّئ نفسك لكي تقرأ بطريقة مسرحية بعض الشّيء وبوجهٍ تعلوه الحمرة، قصيدةَ الغزَلِ الطويلةَ المفككةَ وقد ضاع منها إلى غير رجعة مقطعها الختاميّ (الذي تجهله).

على أقلِّ تقدير هناك أربعة أو خمسة هاملتات في هذا الشّارع وحده. هاملتات متماثلون يمسكونَ دُمَىً دوَّارةً متماثلة تُمثِّلُ وجه قرد.

كوميديا أخطاء في مطعم فاخر في مركز المدينة.

الكرسيُّ في واقع الأمر هو طاولةٌ تسخر من نفسها. شمّاعةُ المعاطف قد تعلّمتْ للتوّ كيف تنفخُ النُّدُلَ بخشيشاً. وحذاء قُدِّمَ على أنه طبق كافيارٍ أسود.

"سيدتي العزيزة الموقّرة،"خاطبت النخلةُ في الاصّيصِ الكبيرِ المرآةَ، "إنه بكل تأكيد لمِن غير جدوى بالمطلق أن تنفعلي."

الرجل البدين الذي يركض وراءها في الشّارع، يتذلّلُ. الذي يناديها باسمها... يقول إنه يريدها أن تعودَ!.

الخنثى السوداء الجميلة، بعباءة ساتان أبيض للرِّجال، تهوّي نفسها بجريدة رغم أن الثلج يغمر الرصيف.

يلتفت النّاس لكي يروا عاشقاً برأسٍ حليقة، حافي القدمين، يدعو الله أن يشهد.

إجازة أسبوع داخل ثقّالةِ ورقٍ زجاجيّة اشتريناها من "كونيْ آيلاند". تمسح العجوزُ الغبار كلّ يوم. أدعوها "سيدةً عجوزاً"، لكنها في الواقع تبدو كقردة حين تطيل النظر في الزّجاجة. بالطبع نحن لا نرتدي أية ملابس. أنا أكتسبُ لوناً برونزياً أخاذاً وكذلك زوجتي. وفي الليل هناك مسحة ضوءٍ آتيةٌ من الأكواريوم. حيث ينقلب لوننا إلى الأخضر. زوجتي سَرْخَسٌ بوريقاتٍ ترعشُ شهوانيّةً. وفي سماء السّمكة الذهبيّة ثمة سلام وسكينة.

العديد من أهل هذا المكان قد أخذتهم الصحون الفضائيّة في جولات. لن تظنَّ أن ذلك ممكن إذ ترى كلَّ هذه الكنائس البيضاء الرّائعة على مدِّ البصر والتي تضيق بمرتاديها أيّام الآحاد.

"لا وجود لمربّعٍ دائريّ،" خاطب المعلِّمُ الصبيَّ البليد. كانت أمُّهُ قد اختُطِفتْ ليلة البارحة وحسب. وبما يخالف توقعات الجميع، فإنها تجلس في الركن تتحدث إلى نفسها. السّماء فسيحة وزرقاء.

"إنهم ضئيلون للغاية، بوسعهم أن يناموا داخل آذانهم،" يخاطبُ توأمٌ ثمانينيٌّ توأمَه الآخر.

يا إله النّظريَّةِ العظيم، إنّه مجرّد عِقْبِ قلم رصاص، عقبٌ معلوكٌ بممحاةٍ متآكلة بعد خربشة هائلة.

تعرَّفْتُ إلى بومةِ ليلٍ حلمتْ أن تكون نجمة كَنتري ميوزيك. أيّها القدر الظّالم! يا وادي العبرات! احتسينا الويسكي في أكواب القهوة في حانات الليل المتأخِّر حين دارتْ أغانيها المحبّبة في صندوق الموسيقى. أطعمتْني شرائحَ العجلِ بينما كانت يديْ تأثمُ تحت الطّاولة. غدتْ أُذُنا نادلِ الحانةِ ، غلامِ جوقة الكنيسة، الكبيرتانِ قرمزيّتين. بالغشاوةِ على عينيها، ورأسِها المُلْقى إلى الوراء، تتوقف لقمتي التالية في منتصف الطريق. كان عليّ أن أمطَّ كامل رقبتي لكي أتمكّن من نيلِ قضمةٍ.

ماذا كان عليّ أن أفعل؟ جنونُ اللحظة كان يضرع، وبرد الليل قارس.

أحبَّ أبي كتبَ أندريه بريتون الغريبة. كان يرفع كأس النبيذ ويشربُ نخبَ هاتيك المساءات النّائية "حين شكّلت الفراشاتُ شريطاً واحداً لا انقطاع فيه." وإذْ نخرج لنبولَ في المجاز الخلفيّ كان يقول: "ها هنا ثمة مناظير مخصّصة للأعين المعصوبة." كنا نعيش في مجمّع سكنيّ متهالكٍ تفوح منه روائح العَجَزَةِ وحيواناتهِم.

"مترنِّحَين على شفا الجحيم، مُخْتَرَقَين بعِطْرِ المحظور،" نتناوبُ تقطيعَ النقانقِ على المائدة. "أحبُّ أميركا،" سيبوح لنا. كنّا سنجني مليون دولارٍ لو قمنا بتصنيعِ الأشكال التي حلمنا بها تلك الليلة.

أمام ملاّحِ القطبِ غرفةٌ كي يعبرَها. غرفة بيضَاء طيفيّةُ النَّصاعةِ لاتشوبُها لُطْخةٌ في أشعّةِ شمسِ الصَّباح.

تناءتِ الأصواتُ الآتية من المطبخ.... فقط لو أنّ بمقدورِه أن يستحضِرَ هيئة غريبٍ بلغَ على قدميه منطقةً نائيةً عَزَلَها الثلجُ عن العالم، حيث السماءُ باهرةُ الزّرْقَةِ والخواء.

كان الهدوءُ يعمُّ الغرفة. وكان بوسعه أن يستشعرَ الدبابيس والأبر في بذتِّه السوداء الجديدة بينما ينتظر خيّاطةَ القطب، و"الزّيرو" على رأسِ لسانها.

كلُّ هذا يقودُنا إلى ***اللامكان***- الذي هو بلدةٌ كأيِّ بلدةٍ أخرى. البائعاتُ في ***اللامكان*** سيعدنَ إلى البيتِ في نهاية اليوم. يجب أن أتيقّن من أن وجودهنَّ حقيقيّ بأن أشحذَ من إحداهن عشرة سنتات. تتفضّل بها عليَّ بها بل تزيد بأن تمنحني قبلةً خاطفةً على الجبين. أنا مهيَّأٌ لأن ألقيَ عُكّازيَ جانباً وأسير، لكنّ بائعةً أخرى تهزّ إصبعها تجاهي تطلب منّي أن أتأدّب.

ثمّةَ في داخلِ إناءٍ على الموقد مَنْ يتوعَّدُ النّجومَ بملعقةٍ خشبيّة.

وإلاّ، فالمدى ساكنٌ دون غيوم. ساعةَ الرّاعي.

حيث الجهلُ نعمةٌ، حيث يداهِنُ أحدُهم الليلَ على فراشِ الجهالة، حيث يركعُ أحدهم على ركبتيه يصلّي لملاكٍ رقيع... حيث يلتحقُ أحدهم بأحمقَ إلى الحرب في جيش الضّلالات السعيدة... حيث الدِّيَكةُ تصيحُ طوال اليوم...

الأحمقُ الجميل يترنَّم بالشّطرة ذاتها من أغنية حُبّ. ولأجل الإفطارِ على الشّرفة نتناولُ بعضَ عنبٍ مرسومٍ يخادعِ العينَ حتّى الطّيور تحاول أن تقتاتَ منه. والآن القُبَلُ... التي لأجلها سهونا عن خلعِ أقنعةِ الهالوين خاصّتنا.

اختلط أمرُ الشخصيات في الرّواية الطويلة التي كان يكتبها. غابَ عنه منْ كانوا وماذا فعلوا. امرأة متوفّاة ظهرتْ من جديد حين جاء وقت طعام العشاء. بائعٌ متجوّل نبقَ من بيتٍ نقَّالٍ في الغابة الخلفيّة مرتدياً ملابس الصِّينيين. وفي اليوم نفسه الذي يفترض أن يُعْدَمَ القاتلُ فيه بالصَّدْمةِ الكهربائية، كان يشتري أزهاراً لـِ "ريتا" معيّنة، انقلبتْ بدورها إلى فتاة في العاشرة من عمرها بنظارات سميكة وجديلتين... وهكذا جرى الأمر.

ورغم أنه لم يفعل بي أيّ شيء. بقيتُ أتقدّم في السنّ وفي طبعي النَّكِد، كما يفترضُ بي أن أكون، في هذه البلدة الجُرَذِيَّة الصغيرة التي طالما وصَفَها بأنها "ميتة" و"تشبه العدم."

أحدٌ ما يجرُّ الخطى قدّامَ بابيَ مدمدماً: ***"إوزتُنا قد طُبِختْ."***

غريب! سكينيِ وشوكتي على أهبة الاستعداد. بل إني عقدتُّ الفوطةَ حول عنقي، لكنَّ الطَّبقَ أمامي لايزال فارغاً.

ومع ذلك، لايزال أحدهم يدمدِمُ خارج بابي عن أوزّةٍ مفترضةٍ مطبوخة، زاعماً أنّها **"لنا"** جميعاً.

معلِّقُ متضائل، صارم، يجلسُ في حَبْسٍ صنعه طفل لأجل الفراشات. هناك ثمة فويبوس. ثمة سيّدة مرسومة، وجهُ كلبٍ، أدميرال أبيض، حمارُ وحشٍ، معطف حِداد، علامةٌ استفهام، وساطِيْرٌ خشبيّ صغير. ألوانهم غاية في البهاء.

مَنْ علّمَ الطفلَ الصغير كيف يغرز فينا الدّبابيس؟

هويتي السّريّة هي

الغرفة خاوية
والنافذة مفتوحة

تشـارلـز سيميـك:

- ولد تشارلز سيميك في التاسع من أيار 1938 في بلغراد – يوغسلافيا
- في عام 1953 غادر يوغسلافيا مع والدته ملتحقين بوالده في الولايات المتحدة الأمريكية.
- نشر اول اعماله في عام 1959، في عمر الحادية والعشرين، انخرط بعدها في القوات المسلحة الأمريكية.
- له اكثر من ستين كتابا تتوزع بين الشعر والنثر والترجمة، منها:

* ما قاله العشب
* عرسٌ في المخيم
* فندق الأرق
*العالم لا ينتهي

* ذلك الشيء الصغير

نال العديد من الجوائز، آخرها اختياره مستشارا للأكاديمية الأمريكية للشعر، وحصوله على لقب أمير شعراء امريكا لسنة 2007 .
- يعمل أستاذاً للغة الإنجليزية في جامعة نيو هامبشر.

==========

المترجم:

أحمد م. أحمد:

-كاتب ومترجم وناشر.

-من مواليد الجمهورية العربية السورية 1965.

-درس في كليّة الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة دمشق.

-له مجموعة قصصية بعنوان "جمجمة الوقت". "مختارات من قصص الهند" (ترجمة)، "رجل في الظلام" رواية لبول أوستر، (ترجمة)، دار الآداب. ترجمات للشعراء الأميركيين: كولينـز، بلاي، هاكر، غليك، أوليفر، سيميك، أوستر (شعر)، ريتش، هيوز، آشبري، وآخرين. ورواية قيد الإنجاز، والعديد من المقالات واللقاءات والقصص، والدراسات المترجمة المنشورة في الصحف والمجلات العربية.

هذا الكتاب

"واحدٌ من أبرعِ كُتّابنا التخييليين في هذا العصر."

لوس أنجليس تايمز

* * *

ليس بوسعك أن تستكنهَ ماسيخلص إليه تشارلز سيميك حتى تصلَ نهايةَ السّطر وربما نهايةَ الفقرة. هناك قد تنتظركَ قبلةٌ، أو هراوة. ابتسامةٌ من سخافات المجتمع، أو ذكرى مروّعة كالحة للحرب العالمية الثانية.

إنّه يورّي، ويسلّ النّكات. فهنا قد يكونُ جازيّاً أو شارعيّاً. وهناك قد يلتحفُ بدثارٍ ماقبل القرون الوسطى.

لتشارلز سيميك عيونٌ جديدة، وفي تلك القصائد النثرية الأخاذة يتيحُ لنا أن نرى من خلال هذه العيون.